© 2020 مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
عدد خاص (4)، فبراير، شباط 2020م. ص 74-37

العلاقة بين التفسير بالرأي والهدايات

أ.د. محمد خازر المجالي[1]

(The Relation Between Opinion-Based Tafsir And Quranic Guidance)

Prof. Dr Muhammad Khazir Al-Majali

ABSTRACT

This study discusses the nature of the relation between thought/opinion-based interpretation (tafsir) and the guidance of the Qur'an. Undoubtedly, mediation is one of the main goals of the Qur'an. Allah (SWT) says (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته، وليتذكر أولو الألباب) literally translated to "[This is] a blessed Book which We have revealed to you, [O Muhammad], that they might reflect upon its verses and that those of understanding would be reminded" (38:29). There are two verses in the Qur'an that strongly encourage and emphasize the extreme importance of contemplation i.e. Allah (SWT) says that (أفلا يتدبرون القرآن، أم على قلوب أقفالها) literally translated to "then do they not reflect upon the Qur'an, or are there locks upon [their] hearts?" (27:24) and (أفلا يتدبرون القرآن، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) literally translated to "then do they not reflect upon the Qur'an? If it had been from [any] other than Allah, they would have found within it much contradiction" (4:82). Allah (SWT) also says that (ولقد يسرنا القرآن للذكر، فهل من مدّكر) literally translated to "and We have certainly made the Qur'an easy for remembrance, so is there any who will remember?" (54:17). Furthermore, Allah (SWT) describes the Qur'an as (ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ الٓمٓ –) literally translated to "this is the Book about which there is no doubt, a guidance for those conscious of Allah" (2:2). In respect of inference, Quranic discourse consists of first direct/explicit inferences and indirect/implicit references, which require scholars to deeply investigate the multifaceted layers of meanings and interpretations. This shows the fact that Qur'an is tremendously full of miracles that scholars keep digging for and that Qur'anic meaning and

1 أستاذ الدراسات القرآنية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر

interpretations are endlessly as abundant as seven or more seas. Thought/opinion-based interpretation is strongly related to the Quranic terminologies -meditation and contemplation. The aim of this study is to analytically and inductively draw the relation between thought/opinion-based interpretation and the guidance of the Qur'an. To analyse the collected data, the study adopts inductive analytical research method in order to answer the questions concerning the relation between thought/opinion-based interpretation approach and the guidance of the Qur'an. The significance of this study lies in the fact that thought/opinion interpretation is a key for the guidance of the Qur'an and that it may end up with debates regarding the credibility and acceptability of thought/opinion Tafsir complied with the rules of the majority of scholars.

Keywords: *Opinion-Based Tafsir, Guidance, Meditation, Contemplation, Principles and Fundemntals Of Tafsir*

ملخص

يناقش هذا البحث طبيعة العلاقة بين التفسير بالرأي وموضوع هدايات القرآن، فلا شك أنّ مِن مقاصد إنزال القرآن تدبره: "كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته، وليتذكر أولو الألباب"، وحين بيّن الله تعالى وظيفة النبي ﷺ في بيان القرآن، أردف بالحث على التفكر فقال: "وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نُزّل إليهم، ولعلهم يتفكرون"، ونضيف إلى هذا ما جاء في آيتين من كتاب الله تحثان على التدبر، بل تستنكران الجمود والانغلاق عن تدبره، فقال الله تعالى: "أفلا يتدبرون القرآن، أم على قلوب أقفالها"، "أفلا يتدبرون القرآن، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا"، وهناك الآية التي تكررت في سورة القمر: "ولقد يسرنا القرآن للذكر، فهل من مدّكر"، فالمسألة واضحة حينها في أهمية البحث عن معاني القرآن ولطائفه.

إن أول وصف ورد في كتاب الله لهذا القرآن أنه هدى، قال تعالى: (الٓمٓ – ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ) [البقرة: 1– 2]، والنص القرآني على نوعين من حيث الدلالة، إما واضحة مباشرة، وإما مكنوزة تنتظر العلماء للبحث والتنقيب عنها، فلا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنفد

معانيه ولو كان مدادها البحر، ومن بعده سبعة أبحر. يرتبط التفسير بالرأي ارتباطا وثيقا بمصطلحي التدبر والتفكر الواردين بشأن القرآن كما جاء في النصوص، ومن هنا يهدف البحث إلى تجلية هذه العلاقة بين التفسير بالرأي وهدايات القرآن، استنباطا وتأطيرا وتحليلا. وفي سبيل ذلك لا بد من سلوك منهجيْ الاستنباط والتحليل، للوصول إلى الغاية المنشودة في ضبط العلاقة بين التفسير بالرأي والهدايات، وبذلك نحقق إضافة تثري النظرة إلى التفسير بالرأي على أنه أحد مفاتيح هذه الهدايات، وإنهاء النقاش حول مشروعية التفسير بالرأي المنضبط بالأصول والقواعد التي اجتمع عليها العلماء.

كلمات دالَّة: التفسير بالرأي، الهدايات، التدبر، التفكر، أصول التفسير.

1. المقدمة

إن موضوع الهدايات هو بلا شك الأمر المباشر المرتبط بثمرة نزول القرآن، ندرك ذلك ابتداء من سورة الفاتحة ومطلع سورة البقرة، فسورة الفاتحة هي التي نقرأها في الصلاة، وفيها الدعاء الوحيد: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) [الفاتحة: 6]، ونلحظ كلمة (اهدنا)، نكرر هذا الدعاء عدد ركعات الصلاة المفروضة، وغيرها من المندوبة، ليأتي الجواب حسب ترتيب القرآن، في مطلع سورة البقرة، حيث يقول الله تعالى: (الٓمٓ – ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ) [البقرة: 1– 2]، فالهدى الذي تسألون الله أن يوفقكم إليه هو في هذا الكتاب الذي لا ريب فيه، فهو هدى للمتقين.

هذا وصف عام للقرآن، ومعه أوصاف وأسماء أخرى، كالروح والنور والفرقان والذكر والشفاء والبركة والرحمة، ولكن انطلاقا من الدعاء (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) [الفاتحة: 6]، ولأن أول وصف جاء للكتاب هو (هدى)، فقد احتل وصف (الهدايات) هذه المنزلة، ولا غنى لهذا الوصف عن غيره من الأوصاف التي هي متممات لموضوع الهداية.

ولا شك أن علاقة ما بين هذه الهدايات والتفسير بالرأي، وهو الأمر الذي نريد الوصول إليه من خلال هذا البحث.

أهمية البحث

تتركز أهمية البحث في الكشف عن العلاقة بين التفسير بالرأي وموضوع الهدايات، إذ الهدايات على قسمين، منها ما هو ظاهر، ومنها ما يحتاج إلى تدبر وتفكر وغوص، وهذه تعتمد على ثقافة القارئ ومقدرته على النظر، وبناء عليه كانت شروط التفسير وقواعده وأصوله التي ينطلق منها المفسر لتثوير النص، والكشف عن معانيه وهداياته، فهذا القرآن لا يخلَق على كثرة الرد، ولا تفنى عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، ولا شك أن الكشف عن هذه العلاقة أمر مهم للخروج بأكبر قدر من هذه الهدايات اللازمة للإنسان في مسيرته في هذه الحياة، على بصيرة وثقة من أمره ودينه.

مشكلة البحث

ربما ما زال عالقا في أذهان كثيرين شكوك في التفسير بالرأي، كونه مبنيا على الاجتهاد، فقد يستغرب أو يستصعب بعض الناس أن تكون هناك هدايات قرآنية مرتبطة باجتهاد متعلق بفهم النص القرآني، فلا بد من حسم هذه المسألة، فالقرآن لكل زمان ومكان، والله تعالى حثنا على تدبره والتفكر فيه، والنبي ﷺ دعا لابن عباس رضي الله عنهما بأن يعلمه التأويل، وهناك عبارات عن الصحابة تدل على أهمية النظر العميق، وتثوير النص، وهناك آراء لصحابة بنيت على اجتهادهم في فهم النص القرآني، ومن هنا نريد كشف هذه العلاقة بين التفسير بالرأي والهدايات على وجه التحديد، وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

ما موقع الاجتهاد في ديننا الحنيف؟

ما هي جذور الاجتهاد في فهم النص القرآني (التفسير بالرأي) وما هي علاقتها بالهدايات القرآنية؟

نماذج لهذه العلاقة بين التفسير بالرأي والهدايات؟

منهجية البحث

سأعتمد في بحثي هذا كلا من منهجي الاستقراء والاستنباط، حيث استقراء مواضع ورود النصوص الدالة على الاجتهاد والرأي عموما، بدلالة مباشرة وغير مباشرة، ومن ثم النظر في سياقاتها ومعانيها، وبعد ذلك محاولة الوصول إلى تلك العلاقة بين التدبر والهدايات، واستنباط بعض النماذج من الهدايات المبنية على التفسير بالرأي.

هيكلية البحث

بناء على ما سبق، سيكون البحث في ثلاثة مباحث وخاتمة، كما يأتي:

المبحث الأول: رعاية الإسلام للفكر والعقل والتدبر.
المبحث الثاني: إسهام التفسير بالرأي في موضوع الهدايات.
المبحث الثالث: نماذج لعلاقة التفسير بالرأي بالهدايات.
الخاتمة.

2. المبحث الأول: رعاية الإسلام للفكر والعقل والتدبر

ندرك في إسلامنا العظيم أهمية العقل والعلم، فديننا دين (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) [العلق: 1]، والقرآن مليء بالنصوص الحاثة على النظر والتفكر والتدبر والتعقل والتذكر والتفقّه والتعلم وغيرها من المصطلحات، ومن هنا فمهم أن نبدأ باختصار الحديث عن التفسير بالرأي، فهو المقابل للمأثور، وعبّر عنه آخرون بالدراية في مقابل الرواية، ولا أطيل الحديث عنه، فهو الذي يستدعي اجتهاد المفسر في النظر في النص من جوانب عديدة، لغوية وسياقية

ونحوية وبلاغية وغيرها، ويتفكر في النص ليستنبط منه اللطائف والمعاني الجميلة، زيادة على المعنى الرئيس الظاهر، وهذه اللطائف نسميها الهدايات، ظاهرة كانت أم مخفية.

أولا: عناية القرآن بالعقل والعلم والفكر

لعل طبيعة القرآن الكريم من كونه معجزة الرسول ﷺ، وأنه آخر كتاب من عند الله تعالى، وأنه للناس كافة، تتطلب أن يكون هكذا كتاب علم وعقل وتفكر وتدبر، زيادة على أنه كتاب هداية عامة.

فمعجزة كل نبي كانت حسية يراها الناس ويتأثرون بها، ولم يكن أي من الكتب السماوية الأخرى معجزاً، فكان لا بد من أن تعتمد هذه المعجزة على ما يثير الفكر والعقل والفهم، قَالَ ﷺ: "مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[2].

ولكون القرآن آخر كتاب أنزل على آخر رسول، فلا بد كذلك من أن يلائم كل مرحلة من مراحل البشرية بعد النبي محمد ﷺ، يقيم عليها الحجة الدامغة، فاحتوى على مظاهر كثيرة مما يمكن للناس أن يُعملوا فيها عقولهم وفكرهم، وتقودهم إلى الهداية.

ولأن القرآن للناس كافة، فوسائل إقناعه كثيرة، لا تعتمد على اللغة فقط، هناك مظاهر الإعجاز الأخرى، وهناك ما يمكن أن نقيم به الحجة على العالمين، فتطلب الأمر أن يكون القرآن كتاب هداية وعقل وفكر وعلم.

ولا غرابة أن نجد القرآن بقسميه: المكي حيث الدعوة إلى التوحيد والدلالة على الخالق، والمدني: حيث التشريع والوصول بالإنسان إلى الاستقرار، قد دعا إلى مسألة التفكر واستخدام العقل.

2 رواه البخاري في صحيحه برقم: 4598، ورقم: 6732، ورواه مسلم في صحيحه برقم: 217.

ولا أدل على اهتمام القرآن الكريم بالعقل من أنه ذكره (49) مرة، والفكر (18) مرة، والتذكر بمشتقاته الكثيرة أكثر من (200) مرة عدا كلمة (الذكْر) التي تدل على القرآن أو ذكر الله أو التذكرة، والتدبر (4) مرات، والنظر (36) مرة، والفقه (20) مرة، وذكرت حاسة السمع (102) مرة بعضها ليست ذات دلالة مباشرة على طلب السمع، والبصر (52) مرة، وأولو الألباب (16) مرة، وأولو النهى مرتين، وهكذا. أما كلمة العلم ومشتقاتها فقد وردت (582) مرة.

ولا ننسى كذلك أن أوّل آيات أنزلت على النبي ﷺ قد ذكرت أساليب تلقي العلم، حيث القراءة والعلم والقلم: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) [العلق: 1- 5]. ولا يمكن أن تكون هذه الآيات الأولى بلا دلالات، بل إن الله تعالى من اللحظة الأولى يعلن لنبيه الذي تلقى الرسالة لتوه، أن هذا الدين مبني على العلم والتدبر والتفكر، وأن الإنسان لو أحسن استخدام حواسه لقاده ذلك إلى الإيمان اليقيني، وهكذا طبيعة القرآن، إنه يبين حقائق الوجود، وحقائق النفس والكون، والمطلوب النظر والتفكر، الأمر الذي يقود إلى الحقيقة والإيمان، أن هناك خالقاً واحداً مستحقاً للعبادة، وهكذا ينقاد الإنسان إلى العبودية الحقيقية لمن يستحقها.

إن هذا الدين تميز بقدرته الكبيرة على استقطاب العقول ومن ثم دخول العدد الكبير من الناس فيه، وما ذاك إلا لأنه يخاطب العقل والفطرة السليمة، ويحارب التقليد والجهل، وبهذا ينهض الإسلام بالإنسان ليرتقي إلى مستوى التكريم الذي أراده الله له، لا بأن يعيش حبيس عبودية لمن لا يستحقها، من آلهة مدّعاة، وشهوات غالبة، وجهالة مظلمة، وتقليد أعمى.

يقول الشيخ الغزالي: "وظيفة العقل أن يفكر كما أن وظيفة العين أن تبصر ... الإنسان الذي يعيش بعقل معطل التفكير كإنسان يعيش بعين منغمضة، ويد مشلولة وقدم مقيدة، وذلك رد للأشياء عن مجراها الطبيعي"[3]. ويقول: "الإسلام لا يلوم على حرية الفكر،

3 حقوق الإنسان، محمد الغزالي، ص/ 53.

بل يلوم على الغفلة والذهول... المصابون بكسل التفكير واسترخاء العقل عصاة في نظر الإسلام... تبدأ حرية التفكير من علاقة المسلم بدينه نفسه، فإن قوام الإسلام ولب رسالته كتاب مفتوح ميسر للذكر، مطلوب من الأمة أن تتدبره وأن تستفيد منه شرائعها جميعاً"[4].

إن القرآن بهذا الكم من الآيات المتحدثة عن وسائل الإدراك، وبحديثه عن مسائل كثيرة مما يندرج تحت المظاهر العلمية، سواء في الكون أو النفس، إذ يبلغ عددها حوالي (750) آية[5]، ليدل دلالة واضحة على أنه كتاب مفتوح للناس كافة لينهلوا منه ويتعلموا منه، وهو بهذا كتاب تحدّ يبين لكل ذي بصيرة أنه ليس من عند أحد من البشر. وبهذا يجمع القرآن في آن واحد بين الهداية بميادينها المختلفة وبين الإعجاز.

ومن خلال هذا الكم من الآيات المتحدثة عن الظواهر العلمية نوقن بأن الله تعالى يوجه عباده إلى التفكر في آيات خلقه وبديع صنعه، وفي هذا صرف لهم من أن يتفكروا في ذات الله تعالى، ففي البخاري ومسلم وغيرهما: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَنْ يَبْرَحَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يَقُولُوا هَذَا اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ"[6].

---

4 المرجع السابق، ص/ 54.

5 انظر تفسير الآيات الكونية، عبد الله شحاته، ص/ 16-31، حيث بين أن هناك (750) آية تتحدث عن ظواهر علمية، منها (277) آية تتحدث عن الآيات الكونية، وجاءت في (55) نصاً من القرآن.

6 البخاري برقم: 6752، ومسلم برقم: 190، وفي مواضع أخرى، ولفظه يختلف عن البخاري قليلاً. وثمة نص كثر ذكره عند العلماء وهو عن ابن عباس رضي الله عنهما: "إن قوماً تفكروا في الله عز وجل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله"، وقد روي مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وروي موقوفاً على عمر τ وغيره من الصحابة، انظر كتاب العظمة لأبي الشيخ الأصفهاني، 1/ 215، 4/ 1442؛ كتاب أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي، 3/ 524، وانظر بغية الطالبين من إحياء علوم الدين، أحمد محمد عساف، ص/ 410. وقد ضعفه السيوطي في الجامع الصغير، 1/ 132، ومحقق كتاب العظمة (رضاء الله المباركفوري)، ومحقق كتاب أصول اعتقاد أهل السنة (أحمد سعد حمدان)، ولكن في المقابل فقد قواه السخاوي في المقاصد الحسنة، ص/ 159، حديث رقم: 342، وذلك باجتماع طرقه، كما جوده الحافظ ابن حجر كما في الفتح: 13/ 383، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، حديث رقم: 1788.

ثانيا: من أقوال العلماء في أهمية التفكر والتدبر والتذكر

إن التفكر يجعل من العادة عبادة، حين يسخر الإنسان فكره في حقائق الأشياء لا مجرد مظاهرها، يقول ابن الجوزي: "تأملت على أكثر الناس عباداتهم، فإذا هي عادات، فأما أرباب اليقظة فعاداتهم عبادة حقيقية... فإن الغافل يقول سبحان الله عادة، والمتيقظ لا يزال فكره في عجائب المخلوقات أو في عظمة الخالق، فيحركه الفكر في ذلك فيقول: سبحان الله ... ولو أن إنساناً تفكر في رمانة فنظر في تصفيف حبها وحفظه بالأغشية لئلا يتضاءل، ... أزعجه هذا الفكر إلى تعظيم الخالق فقال: سبحان الله، وكان هذا التسبيح ثمرة الفكر، فهذا تسبيح المتيقظين ... وما تزال أفكارهم تجول فتقع عباداتهم بالتسبيحات محققة، وكذلك يتفكرون في قبائح ذنوب قد تقدمت فيوجب ذلك الفكر وقلق القلب وندم النفس، فيثمر ذلك أن يقول قائلهم: أستغفر الله ... فهذا هو التسبيح والاستغفار، فأما الغافلون فيقولون ذلك عادة، وشتان ما بين الفريقين"[7].

ومما قاله في أهمية الفكر وخطر الشهوة في مقابل الفكر: "الشهوة تغطي عين الفكر"[8]. وقال حاتم: "من العبرة يزيد العلم، ومن الذكر يزيد الحب، ومن التفكر يزيد الخوف". وقال الشافعي: "استعينوا على الكلام بالصمت، وعلى الاستنباط بالفكر"[9].

ويقول الغزالي في الإحياء: "إن ثمرة الفكر هي العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة، وإذا حصل العلم في القلب تغير القلب، وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح، فالفكر إذاً هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها، لأنه الذي ينقل من المكاره إلى المحابّ، ويهدي إلى استثمار العلوم ونتائج المعارف والفوائد".[10]

---

7 صيد الخاطر، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، ص/ 352.

8 صيد الخاطر، ص/ 377.

9 انظر بغية الطالبين، ص/ 410.

10 بغية الطالبين، ص/ 410.

ويقول ابن القيم: "أصل الخير والشر من قبل التفكر، فإن الفكر مبدأ الإرادة والطلب في الزهد والترك والحب والبغض. وأنفع الفكر: الفكر في مصالح المعاد، وفي طرق اجتلابها، وفي دفع مفاسد المعاد وفي طرق اجتنابها. فهذه أربعة أفكار هي أجلّ الأفكار، ويليها أربعة: فكر في مصالح الدنيا وطرق تحصيلها، وفكر في مفاسد الدنيا وطرق الاحتراز منها، فعلى هذه الأقسام الثمانية دارت أفكار العقلاء. ورأس القسم الأول: الفكر في آلاء الله ونعمه، وأمره ونهيه، وطرق العلم به وبأسمائه وصفاته من كتابه وسنة نبيه وما والاهما، وهذا الفكر يثمر لصاحبه المحبة والمعرفة، فإذا فكر في الآخرة وشرفها ودوامها، وفي الدنيا وخستها وفنائها، أثمر له ذلك الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا، وكلما فكر في قصر الأمل وضيق الوقت أورثه ذلك الجد والاجتهاد، وبذل الوسع في اغتنام الوقت، وهذه الأفكار تعلي همته وتحييها بعد موتها وسفولها، وتجعله في واد والناس في واد....".[11]

ويقول ابن القيم في مدارج السالكين: "أول منازل العبودية (اليقظة)، وهي انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين... فإذا استيقظ أوجبت له اليقظة (الفكرة)، وهي: تحديق القلب نحو المطلوب الذي قد استعد له مجملاً، ولما يهتد إلى تفصيله وطريق الوصول إليه... فإذا صحت فكرته أوجبت له (البصيرة)، فهي نور في القلب يبصر به الوعد والوعيد، والجنة والنار، وما أعد الله في هذه لأوليائه، وفي هذه لأعدائه...".[12]

ويقول ابن القيم إن الهروي – صاحب منازل السائرين – قد جعل للفكرة ثلاثة أنواع هي: فكرة في عين التوحيد، وفكرة في لطائف الصنعة، وفكرة في معاني الأعمال والأحوال. ثم يعقب: قلت: "الفكرة فكرتان: فكرة تتعلق بالعلم والمعرفة، وفكرة تتعلق بالطلب والإرادة؛ فالتي تتعلق بالعلم والمعرفة: فكرة التمييز بين الحق والباطل والثابت والمنفي، والتي تتعلق بالطلب والإرادة هي الفكرة التي تميز بين النافع والضار، ثم يترتب عليها فكرة أخرى

11 الفوائد، ابن القيم، ص/ 241-242.

12 مدارج السالكين، 1/ 242-243.

في الطريق إلى حصول ما ينفع فيسلكها، والطريق إلى ما يضر فيتركها، فهذه ستة أقسام، لا سابع لها، هي مجال أفكار العقلاء"[13].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: "تفكر ساعة خير من قيام ليلة"،[14] وقال الفضيل: "التفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك"، وكان سفيان بن عيينة يتمثل:

إذا المرء كانت له فكرة *** ففي كل شيء له عبرة[15]

وما أردت نقل هذه الأقوال إلا لأهميتها وجميل تعبيرها عن أهمية الفكر، وهي غيض من فيض مما قيل في هذا المجال، وإذا أضفناها إلى الحقائق التي بيناها عن رعاية القرآن للفكر تبين لنا عظم شأن الفكر وضرورته.

بهذا أجد أن مسألة التفسير بالرأي أصبحت واضحة المعالم والأهمية والضرورة، ومجالاته كثيرة ضرورية ليبقى العلماء في حال انشغال دائم مع القرآن، تعلما وتعليما، وبثا لهداياته بين الناس، جلبا لهم إلى صراط الله المستقيم، وتثبيتا لهم وتسلية وهم يسيرون في هذه الحياة بثقة كاملة بالمنهج وصاحبه سبحانه، خاصة هذا الوقت الذي اختلطت على المسلم فيه أمور دينه، وكثرت الشبهات والشهوات، وأثر ذلك كله بشكل أو بآخر على أولوياتنا وحياتنا، ويبقى النص القرآني الخالد موجها الأمة كما وجه رسولنا ﷺ: (فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ – وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ) [الزخرف: 43- 44].

3. المبحث الثاني: إسهام التفسير بالرأي في موضوع الهدايات

13 المرجع السابق، 1/ 281.

14 إسناده صحيح، رواه أحمد بن حنبل في الزهد، حديث:750، وابن سعد في الطبقات الكبرى، 7/ 275، وابن أبي شيبة في المصنف: 35728 وغيرهم.

15 فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، عويضة، محمد نصر الدين، 5/ 129.

لما كانت الهدايات القرآنية إما ظاهرة أو بحاجة إلى بحث واستنباط، فبعضها هي أقرب إلى اللطائف الخفية التي لا يستطيع سبر غورها إلا الجهابذة الذين جمعوا أصناف العلوم ووظفوها في هذا الاستنباط، ولا أبالغ إن قلت إنها فتوحات ربانية يوفق الله بها العبد لهذه الاستنباطات التي تثري معاني النص القرآني، من هنا نفهم ضرورة إعمال العقل والبحث للكشف عن هذه الهدايات، وسبيل ذلك هو التفسير بالرأي أو الاجتهاد والدراية، ومن هنا أبين المجالات التي يسهم فيها التفسير بالرأي في موضوع الهدايات، زيادة على التفسير ذاته الذي هو المغزى الرئيس، حيث توضيح النص والكشف عن المعنى، الذي تشترك في بيانه ابتداء عوامل أخرى، قد يكون تفسيرا نبويا، أو آثارا عن الصحابة والتابعين، أو مباشرا من خلال اللغة، وهكذا، فالذي نركز عليه الآن هو ما زاد عن المعاني الواضحة للنص.

أولا: الجذور الأولى لانطلاق التفسير بالرأي.

وذلك زيادة على النصوص القرآنية الدالة على التدبر والتفكر والتذكر، فيمكننا القول إنّ لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في ذلك، وكذا صحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، وهذه بعض الأدلة والحوادث:

1. حين دعا النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما أن يعلمه الله الكتاب[16]، ففي هذا ما يمكن فهمه أنه زيادة على المعنى المباشر للنص، ولن أخوض هنا في الفرق بين التفسير والتأويل، ولكن من القرآن نفسه الذي جاء سياق الحديث عن التأويل فيه مرتبطا بأمور مخفية (كالرؤيا)، ندرك حينها أن التأويل أكثر عمقا من مجرد التفسير الذي هو بيان عام، ولو قلنا بأن السلف قد استخدموا المصطلحين بمعنى واحد، إلا أن اللفظ القرآني دقيق ينبغي

16 ورد الحديث بعدة روايات، فالذي في البخاري: اللهم فقهه في الدين، وورد: اللهم علمه الحكمة، وفي المستدرك على الصحيحين للحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ميمونة فوضعت له وضوءً فقالت له ميمونة: وضع لك عبد الله بن العباس وضوءً، فقال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل. وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي والعراقي والبوصيري والألباني. وبغض النظر عن ألفاظ الروايات، فالذي يعنيني هو مجرد الدعاء بالفهم، الذي هو باب التفسير بالرأي.

التدقيق فيه. حتى أولئك الذين قالوا بأن التفسير مرتبط بالكلمات بينما التأويل مرتبط بالجملة، فهو دليل على أن التأويل أعمق من مجرد التفسير، فالجملة حين تتشكل تعطي معنى بل معاني يجدر الانتباه إليها واستنباطها والتعليق عليها.

2. حين سئل ﷺ عن قوله تعالى: "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون"، فشق ذلك على الصحابة وقالوا له: أيّنا لم يظلم نفسه؟ فأخذوا النص على ظاهره، إذ كل مذنبٍ ظالمٌ لنفسه، فأجابهم النبي ﷺ بأن المقصود هو الشرك، واستدل بقوله تعالى على لسان لقمان وهو يوجه ابنه: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [لقمان: 13][17]، نأخذ من هذه الرواية أمرين:

الأول: في الانطلاق فيما يسمى تفسير القرآن بالقرآن، فلنبحث عن معاني القرآن المشكلة في موضع آخر في القرآن نفسه، في السياق نفسه، أو في السورة نفسها، أو في القرآن كله.

والثاني: في الانطلاق في التفسير بالرأي، حيث يعد هذا التفسير النبوي فتحا لباب التفكر في النص، وهنا خصص النبي ﷺ اللفظ العام، فلفظ الظلم عام خصصه ﷺ بالشرك الذي هو أعظم الظلم، وليس كل أفراد الظلم، صحيح إنه ﷺ يوحى إليه، ولكن مجرد المقارنة تفتح لنا آفاق النظر الكلي الشمولي على النص القرآني.

3. ما جاء في تقرير الرسول ﷺ اجتهادَهم في الاستشهاد بالنص القرآني، وهو نوع من التفسير، ومن ذلك: الأثر المروي عن عمرو بن العاص، قال: بعثني رسول الله ﷺ عام (ذات السلاسل)، فاحتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيمّمت به، ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح، فلما قدمت على رسول الله ذكرت ذلك له، فقال: "يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟" قلت: نعم يا رسول الله، إني احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، وذكرت قول الله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

17 والحديث في صحيح البخاري، رقم: 6937، وصحيح مسلم، رقم: 19.

لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) [النساء: 29]، فتيمّمت، ثم صليت، فضحك، ولم يقل شيئاً"[18].

4. ما ورد أن أبا بكر رضي الله عنه (وقيل عمر، رضي الله عنه) بكى حين سمع قول الله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [سورة المائدة، الآية: 3]، حين استشعر دنو أجل رسول الله، ﷺ[19]، وهذا ما فتح الباب لما يسمى بالتفسير الإشاري.

5. وهذا ابن عباس رضي الله عنهما أيضا يفهم الشيء نفسه من سورة النصر، إذ تدل كلماتها القليلة على انتهاء مهمة النبي الكريم، ﷺ ، فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لِمَ يُدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه ممن قد علمتم، فدعاهم ذات يوم فأدخلني معهم، فما رأيت أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليريهم، فقال: ما تقولون في قول الله عز وجل: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) [سورة النصر، الآية: 1]؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال:(إذا جاء نصر الله والفتح)، فذلك علامة أجلك، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا، فقال عمر τ: لا أعلم منها إلا ما تقول"[20]، قال ابن حجر في نهاية شرحه لهذا الحديث: "وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات ، وإنما يتمكن من ذلك

18 رواه أحمد وأبو داود، ورواه البخاري في صحيحه معلقا في كتاب التيمم.

19 جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ينظر الطبري، ابن جرير، 8/ 81.

20 رواه البخاري في صحيحه برقم: 4686.

من رسخت قدمه في العلم، ولهذا قال علي رضي الله تعالى عنه: أو فهما يؤتيه الله رجلا في القرآن "، وسأذكر حديث علي τ في نقطة منفصلة.

وأشير هنا إلى أنه لا يوجد تعارض بين الحديث السابق وما ورد عن عائشةَ رضي الله عنها أنها قالَت: "كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُكثِرُ أن يقولَ في رُكوعِهِ وسجودِهِ سبحانَكَ اللَّهمَّ ربَّنا وبحمدِكَ اللَّهمَّ اغفر لي، يتأوَّلُ القرآنَ"،[21] بل هو المقصود بالتدبر هنا، فقد فهم النبي ﷺ من الآية دنو أجله من جهة، وفهم ظاهر النص من جهة أخرى، وقصة ابن عباس وعمر رضي الله عنهم جاءت بعد ذلك.

6. وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينهي جدلا بشأن ما سمي بأرض سواد العراق التي غنمها المسلمون بعد هزيمة الفرس، وطالب المقاتلون بتوزيعها على أنها من الغنائم، منهم عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وبلال بن رباح وعمرو بن العاص رضي الله عنهم، أما عمر فرأى التفريق بين الأرض وبقية الغنائم، لتكون الأرض خراجا للمسلمين، ورأى مثله علي وعثمان ومعاذ وطلحة وغيرهم، رضي الله عنهم، واستشار أصناف المسلمين من أشياخ قريش والأنصار، وحسم الأمر مستدلا بآيات سورة الحشر: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) [الحشر: 10]، فحين دقق النظر في الآيات، استنبط ألا توزّع الأرض المغنومة، وتبقى محبوسة على أهلها وينفق خراجها على الثغور والجند ومصالح المسلمين، وهكذا، فالآيات الثلاث التي تبعت الحديث عن الفيء ذكرت المهاجرين، ثم الأنصار، ثم الذين من بعدهم، ولهؤلاء جميعا حق في هذا الفيء، فكيف يكون لو وُزِّعت الأرض على المقاتلة بصورة غنائم! هنا كان اجتهاد عمر رضي الله عنه، وأقنع الصحابة جميعا بفكرته، في عدم توزيع الأرض دون باقي المغانم[22].

21 رواه البخاري في صحيحه برقم: 817، ومسلم في صحيحه برقم: 484. وينظر تفسير الطبري، 24/ 709.
22 الجامع لأحكام القرآن، ينظر القرطبي، 18/ 32.

قال القاضي أبو يوسف: "والذي رأى عمر رضي الله عنه من الامتناع من قسمة الأرضين بين من افتتحها عندما عرفه الله ما كان في كتابه من بيان ذلك توفيقًا من الله كان له فيما صنع، وفيه كانت الخيرة لجميع المسلمين. وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته بين المسلمين عموم النفع لجماعتهم لأن هذا لو لم يكن وقوفًا على الناس في الأعطيات والأرزاق لم تشحن الثغور ولم تقوَ الجيوش على السير في الجهاد ولما أمن من رجوع أهل الكفر إلى مدنهم إذا خلت من المقاتلة والمرتزقة. والله أعلم بالخير حيث كان"[23].

7. ما روي "أنّ مروان قال: اذهب يا رافع، لبوابه إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذّبن أجمعون! فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه الآية!؟ إنما أنزلت هذه الآية في أهل الكتاب، ثم تلا ابن عباس: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ

23 ينظر بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد: 1/ 529. وقد ذكر عبد الوهاب خلاف القصة في كتابه: (السياسة الشرعية)، فقد روي أن عمر فأرسل إلى عشرة من الأنصار خمسة من الأوس وخمسة من الخزرج من كبرائهم وأشرافهم، فلما اجتمعوا حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: إني لم أزعجكم إلا لأن تشركوا في أمانتي وفيما حملت من أموركم فإني واحد كأحدكم وأنتم اليوم تقرون بالحق خالفني من خالفني ووافقني من وافقني، ولست أريد أن تتبعوا هذا الذي هواي، معكم من الله كتاب ينطق بالحق، فوالله لئن كنت نطقت بأمر أريده ما أريد به إلا الحق. قالوا: قل نسمع يا أمير المؤمنين. قال: قد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا أني أظلمهم حقوقهم، وأني أعوذ بالله أن أركب ظلمًا، لئن كنت ظلمتهم شيئًا هو لهم وأعطيته غيرهم لقد شقيت، ولكن رأيت أنه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى، وقد غنمنا الله أموالهم وأرضهم وعلوجهم فقسمت ما غنموا من أموال بين أهله وأخرجت الخمس فوجهته على وجهه وأنا في توجيهه، وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها وأضع عليهم فيها الخراج، وفي رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فيئًا للمسلمين المقاتلة والذرية ولمن يأتي بعدهم، أرأيتم هذه الثغور لا بد لها من رجال يلزمونها، أرأيتم هذه المدن العظام –كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر– لا بد لها من أن تشحن بالجيوش وإدرار العطاء عليهم فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأرضون والعلوج فقالوا جميعًا: الرأي رأيك فنعم ما قلت وما رأيت. إن لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال وتجرى عليهم ما يتقوون به رجع أهل الكفر إلى مدنهم. فقال: قد بان لي الأمر، فمن رجل له جزالة وعقل يضع الأرض مواضعها ويضع على العلوج ما يحتملون؟ فاجتمعوا له على عثمان بن حنيف وقالوا: تبعثه إلى أهم ذلك فإن له بصرًا وعقلًا وتجربة، فأسرع إليه عمر وولاه مساحة أرض السواد"، وعلى هذا الأساس حبس عمر الأرضين عن قسمتها بين الفاتحين وتركها في يد أهليها يؤدون عنها الخراج للمسلمين وفعل بالشام ما فعل بالعراق"، السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية، عبد الوهاب خلاف، 1/ 114–115، (دار القلم، 1988).

مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ) [آل عمران: 187]، هذه الآية، وتلا ابن عباس: (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [آل عمران: 188]، وقال ابن عباس سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه"،[24] فزيادة على الرواية في أسباب النزول، فإن ابن عباس رضي الله عنهما قد لفت النظر إلى أهمية السياق، فالآية مرتبطة بما قبلها، ولا يجوز سلخها من سياقها، وهو بذلك يحث على النظر زيادة على ما في النقل من رواية، مع أن الروايات مختلفة في سبب النزول، أهم المنافقون أم اليهود،[25] وبغض النظر عن التحقيق في سبب النزول، فمعالم التفسير بالاجتهاد واضحة من خلال الرواية عن ابن عباس، وكأنه يقول لمن سأله مستغربا: لماذا لا تنظر في السياق؟ فالآية ليست فيكم، إنما في أهل الكتاب الوارد ذكرهم في الآية السابقة.

8. ما رواه البخاري في صحيحه: "عن أبي جحيفة قال: قلت لعلي بن أبي طالب: هل عندكم كتاب؟ قال لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة، قال: قلت: فما في هذه الصحيفة؟ قال العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر"،[26] ونركز هنا على كلمة (الفهم) الذي يعطيه الله لمن يشاء سبحانه، فأن يتحدث علي رضي الله عنه بهذا لهو دليل على وجود الاجتهاد والاستنباط.

9. تفسيرات الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، مما هو موقوف عليهم، فهو رأيهم، وهذا أكثر من أن يحصى، مروي في الصحاح وغيرها، وفي كتب التفسير بالمأثور، صحيح أنه مأثور عنهم، ولم يصنف في دائرة التفسير بالرأي، ومن هنا اختُلِف في تفسير

24 صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث 2778.

25 هناك روايات عند البخاري ومسلم أنها نزلت في المنافقين حين كانوا يكذبون في أعذارهم عن الخروج للقتال مع النبي صلى الله عليه وسلم، انظر البخاري، الصحيح، حديث رقم: 4291، ومسلم في صحيحه، حديث رقم: 2777.

26) صحيح البخاري، كتاب العلم، حديث رقم: 111.

الصحابي أهو حجة أم لا، والغالب عند العلماء أنه حجة، للمزايا والصفات الموجودة فيهم دون غيرهم، ولكن بعض أقوالهم اجتهادات، نأخذ منها مبدأ الاجتهاد، باعتبارهم قدوة لنا، رضوان الله عليهم.

كل هذا وغيره يعزز مفهوم الهدايات التي استنبطت بالنظر وإعمال العقل والتعمق في فهم النص، وكما قلت فهي بالنظر إلى كونها أحاديث نبوية أو آثار عن الصحابة تعد من التفسير بالمأثور، لكن دلالاتها هي استنباطية محفزة إلى النظر والتدبر والتفكر، ولهذا سميتها في البداية بأنها الجذور الأولى لانطلاق التفسير بالرأي والبحث عن الهدايات.

ثانيا: قضايا الهدايات العامة التي أثّر فيها التفسير بالرأي:

إن مجالات الهدايات كثيرة متنوعة، وأذكر هنا أبرز الأنواع التي مردها إلى التفسير بالرأي، ومنها:

اختيار كلمة دون غيرها، وذلك لمناسبة الموضوع أو السياق.

ما ارتبط بتناسب الآيات والسور.

التفسير الموضوعي عموما، بأصنافه ومناهجه والوحدة الموضوعية.

الفاصلة القرآنية ومناسبتها للموضوع والسياق.

العلاقة بين أسماء السور وموضوعاتها.

المسائل النحوية التي تكشف الغموض وتثري المعنى.

المسائل البلاغية التي تثري التذوق اللغوي وتكشف حقائق إعجاز القرآن.

الاستنباطات الفقهية ذات الأحكام العملية، وبيان مواضع الاستدلال والتماس العذر للفقهاء في اختلافاتهم حيث النص القرآني ذو الاحتمالات المتعددة في الفهم.

مفهوم السياق والترجيح.

التفسير المقارن.

توجيه القراءات، إذ بعض القراءات تأتي بمعنى جديد غير معارض للآخر.

وجود المتشابه كفيل باجتهاد العلماء لبيانه.

أما القضايا الدقيقة فهي أكثر من أن تحصى، فهي استنباطات من النص، تحفها قرائن مختلفة، قد يكون السياق أو الوضع اللغوي في الأصل أو اللفتات البلاغية أو المقارنة مع نصوص مشابهة وغير ذلك كثير، أتطرق إلى نماذج منها في المبحث الأخير.

والسؤال هنا: إلى ماذا يمكن رجع هذه الاستنباطات، ظاهرها وخفيها؟ إنه التفسير بالرأي قطعا، وهو الفهم الذي أعطيه أصحابه (من الله تعالى).

4. المبحث الثالث: نماذج لعلاقة التفسير بالرأي بالهدايات

كما ذكرت في المبحث السابق، فجوانب الهدايات كثيرة، ولا أبالغ بالقول إنها مرتبطة مباشرة بالتفسير بالرأي، وهنا أذكر نماذج أعدها جديدة مختلفة عما هو مرتبط بالاستنباط المباشر من خلال المعنى أو الذوق البلاغي، ولا أطيل الحديث عنها حتى لا أتجاوز الحد في مثل هذه الأبحاث، ومن هذه النماذج:

أولا: ارتباط الكلمة القرآنية بسياقها وموضوع السورة واسمها:

وهذه بعض الأمثلة:

كلمة (المخبتين)، المشتقة من الفعل (خبت) الدال على الانكسار والخشوع والتذلل، وهي لم تأت إلا ثلاث مرات في القرآن، في سورتين هما: هود: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [هود: 23]، والحج: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ – الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) [الحج: 34– 35]، والأخرى: (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [الحج: 54].

فالتي في سورة هود مهدت للحديث عن قصص بعض الأنبياء مع أقوامهم، وهؤلاء الأقوام هم العتاة المتجبرون أكثر من غيرهم، فناسب هذا أن يمهد الله لعلة هؤلاء في كفرهم وطغيانهم، أنهم تكبروا وتجبروا، فمنعهم هذا من الهدى، وسورة هود سميت باسمه عليه الصلاة والسلام، إذ قومه من أعتى الأقوام وأشدها وأكثرها تجبرا وقوة.

أما آيتا الحج، فكونهما في سورة الحج عموما هو دليل على ما ينبغي أن يكون عليه الحاج من تذلل لله وانكسار، وما يجب أن يلين به على إخوانه في معاملتهم، حتى يسهم هذا بما طُلب منه، أنْ لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج، صحيح أن الموضع الأول قد بين الله تعالى فيه من هم المخبتون، فهم الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم، وهنا المغزى الرئيس فهم أهل خشية ورقة مع ربهم، وانعكس هذا سلوكا فهم صابرون مصلون منفقون، وكل هذا مطلوب خاصة في موسم الحج.

والأخرى جاءت بعد قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ –لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ –وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [الحج: 52– 54].

وربما نأخذ منها هداية، أن النفاق وقسوة القلب يصدان عن الفهم ويشتتان صاحبهما إلى الاستجابة لأية شبهة، بدل الانكسار والانقياد لله تعالى، بما يرشد إليه وحيه سبحانه.

تكرر قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) ، في سورتي [التوبة: 33] و[الصف: 9]، وجاءت في سورة الفتح بالفاصلة: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا – 28) [الفتح: 28]، وقبل آيتي التوبة والصف حديث عن محاولة الكافرين إطفاء نور الله، باختلاف بسيط بين الآيتين، ففي التوبة: (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [التوبة: 32]، وفي الصف: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [الصف: 8].

العجيب أن قبل هاتين الآيتين في كل من التوبة والصف حديث عن أهل الكتاب: اليهود والنصارى، فهل لهذا علاقة بأنهم هم الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم؟ الجواب نعم، وصدق الله: (وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) [البقرة: 120]، فالجواب من الله أنه وعد بأن يتم نوره، وبشارة أخرى بأنه أرسل رسوله (بالهدى): إشارة إلى ضلال الديانات السابقة، (ودين الحق) إشارة إلى بطلان دينهم، من أجل أن يظهره على الدين كله، ولو كره المشركون. ولا يخفى أن كلتا السورتين: التوبة والصف فيهما الحديث عن التحديات، وعن الجهاد، ومكر الأعداء من أهل الكتاب، وزادت سورة التوبة في الحديث عن مكر المنافقين، فكانت الآية فيها أشد وقعا.

ولنا أن نأخذ من اختلاف القراءة في آية الصف إحدى الهدايات، فقوله تعالى: "والله متمٌ نورَه"، إخبار عن أنه تعالى أتم نوره، وهي بلا شك بشارة، أما القراءة الأخرى: "والله متمٌ نورَه"، أي في المستقبل، فهو أمر محتوم محسوم، لا يتطرق إليه شك أبدا[27].

أما التي في سورة الفتح، فجاءت الفاصلة هكذا: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا) [الفتح: 28]، فالأمر بالنسبة للمؤمنين كان صدمة بعد أن بشرهم الرسول ﷺ بدخول مكة معتمرين، وكان صلح الحديبية، وكيف أنهم رضوان الله عليهم شق عليهم أن لا يدخلوا مكة حينها، ورأى بعضهم في شروط الصلح إعطاء لقريش بالدنية، ولكن الله تعالى سماه (أي الصلح) فتحا، وهو كذلك، ولأن الأمر صعب عليهم في هذه الأمور التي واجهوها، بشرهم الله تعالى بما هو أعم من دخول مكة، بفتحها، بل بأن يظهر اللهُ دينهم على الدين كله، وكأن سائلا يسأل: من يشهد على ذلك؟ فيجيء الجواب: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا) [الفتح: 28].

ثانيا: الربط العجيب بين موضوع السورة واسمها:

وهذا يعزز العلاقة القوية بين المضمون والعنوان الذي طالما أهمله بعض المفسرين، وفي المقابل فقد كانت هناك جهود كبيرة للعلماء للكشف عن هذه العلاقات، والبحث عن مقاصد السور، يقول السيوطي: "إن الحكمة في تسوير القرآن سورا تحقيق كون السورة بمجردها معجزة وآية من آيات الله، والإشارة إلى أنّ كُلَّ سورةٍ نَمَطٌ مستقلٌ، فسورة يوسف تترجم عن قصّته، وسورة براءة تترجم عن أحوال المنافقين وأسرارهم، إلى غير ذلك"[28].

27) قرأ حفص عن عاصم وحمزة والكسائي وابن كثير وخلف: "متمُّ نورِه"، وقرأ الباقون: "متمٌ نورَه"، القراءات العشر المتواترة، المطبوع بهامش القرآن الكريم، محمد كريم راجح.

28 الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، جلال الدين، ج1، ص: (228).

وهذا ما أَكَّدَهُ البقاعيُّ حينَ أوضح أنّ "اسمَ كل سورة مترجم عن مقصودها؛ لأنّ اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسمَّاهُ عنوانِهِ الدالِّ إجمالًا على تفصيل ما فيه ... ومقصودُ كل سورة هادٍ إلى تناسبها، فأذكر المقصود من كل سورة، ولا أخرج عن معاني كلماتها"[29].

وقد نبَّهَ الزركشي إلى وجوب النّظر في اختصاص كلّ سورة بالاسم الذي سمّيت به،[30] فاسم السّورة سبيل مهم لبيان وجه اختصاص كلّ سورة باسمها، مع سبل أخرى لها دلالاتها. فللعلماء آراء مختلفة بشأن التعرف على هوية كل سورة، منهم من ينظر إلى اسمها، ومنهم من ينظر إلى وحدتها الموضوعية، ومنهم من يركز على ألفاظها... والحقيقة التي ينبغي التركيز عليها أكثر هو الاسم، وبالرجوع إلى كثير من كتب التفسير، نجد بعضهم إن علق على اسم السورة قال: سميت بكذا لورود هذه الكلمة فيها، وبعضهم يعطي السبب بتفصيل أكثر، وعموما لنأخذ بعض النماذج على ذلك:

1. سورة النور: من اسمها فهي النور، وافتتاحيتها عجيبة لم تتكرر، وجاءت متدرجة فيما ينبغي على المجتمع أن يراعيه ليكون مجتمع النور والصفاء، فابتدأت بآيات الحدود من زنى وقذف ولعان، ثم حادثة الإفك وبراءة أمنا عائشة رضي الله عنها ، ثم ما به نحتاط من الانزلاق في أوحال الرذيلة، فتحدثت عن الاستئذان وحفظ الفروج وستر العورات وأحكام زينة المرأة، والحث على الزواج، ثم جاءت آية النور، وأن استمداده الحقيقي يكون من العبادة (في بيوت...)، وبعض الأحكام الخاصة بالاستئذان مرة أخرى، ووعد الله لعباده بالاستخلاف والتمكين والطمأنينة، وعجيب مجيء هذه الآية المبشرة بهذه الأمور في سورة النور، وكأنها تقول إن الاستخلاف والنصر والتمكين لا تكون إلا في

29 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج1، ص 17-19. وانظر مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ص42.

30 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1، ص270.

مجتمع نظيف عفيف،، فكانت هذه السورة نورا للبيوت والعلاقات وطمأنينة قلبية قبل أن تكون طمأنينة على مستوى المسلمين.

2. سورة النمل: سميت بالنمل مع أن قصة النملة وتحذيرها لقومها جاءت في آية واحدة، وهناك الجزء الأكبر حيث قصة سليمان عليه الصلاة والسلام، وملكة سبأ، لأن السورة تتحدث عن الجندية والانضباط، فكان الحديث عنهما، وذكر النملة ليبين الله حرص الحيوان على قومه، ومن باب أولى أن يكون هذا في بني الإنسان، فارتبط في موضوع النملة أمران هما: حرصها على قومها، ومع هذا الأمر نفهم موضوع الطاعة، وأدبها الجم حين التمست العذر لسلمان عليه السلام وجنده.

ابتدأت السورة بعد الحديث عن القرآن والرسالة للحديث عن قصة موسى عليه السلام وأهله وتكليفه بالرسالة وإيتائه الآيات، وجحود فرعون وقومه للآيات مع أن أنفسهم استيقنتها، ظلما وعلوا، وهذه من أسباب أفول الأمم والطغاة.

ثم كانت قصة سليمان عليه السلام ، وما ورد في شأن الهدهد، وكذا قصة الملكة وحكمتها في إدارة شؤونها بغض النظر عن كونها كافرة، فالموضوع الأساس هو الانضباط والجندية والطاعة.

وتحدثت السورة مرة أخرى عن أسباب أفول الحضارات والدول، فالكفر أحدها، وهو ما جرى للملكة، وبعد قصة سليمان عليه السلام يأتي الحديث عن جانب من قصة ثمود، وركزت الآيات على رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وذكرت قصة قوم لوط وفاحشتهم، فهي أسباب مباشرة.

وفي المقابل بينت الآيات ما به يكون اليقين بالله والتوكل عليه ومعرفته، فكانت آيات السورة المتحدثة عن الله ونفي أن يكون معه إله، وهي آيات في غاية الروعة، وأسلوبها لم يتكرر في القرآن أبدا، وفي نهاية السورة مشهد من مشاهد القيامة لا بد منه، حيث الرجوع إلى الله والحساب، وفي آخرها ما يجب على المسلم فعله، حيث حقوق عبادة الله والإسلام والقرآن...

والعجيب أن بعد النمل جاءت سورة القصص لتبين نموذجين للطغيان بالتفصيل، حيث الحكم (فرعون) وقد جاء في مطلع سورة النمل حديث عنه كما بينا، والمال (قارون)، وقد كانت قصة ملكة سبأ نموذجا آخر عليه، وهي من أسباب زوال الملك وتحول النعمة.

3. سورة العنكبوت: جاء ذكر العنكبوت في موضوع الولاء: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [العنكبوت: 41]، وبذلك فالسورة تتحدث عن عوامل الوهن في المجتمع، وكيف نتجاوزها ويكون عندنا التحصين من جوانبه كلها.

افتتحت السورة بالحديث سنة الابتلاء، وضرورة أن يتوجه العبد إلى ربه، وهو غني عنه، وجاء حديث عن الوالدين وبرهما، ومدح للمؤمنين، وحديث عن فئة من الناس تسخط على قدر الله إن أصابهم أذى، وذكر الله المنافقين تعريضا بهم.

ثم ذكر الله جانبا مختصرا من قصة نوح، وشيئا من التفصيل عن قصة إبراهيم وقومه وعبادتهم الأصنام، واعتراضه عليهم وكيف هموا بحرقه فأنجاه الله، ووهبه الولد. ثم قصة لوط وقومه وإهلاكهم بسبب الفاحشة. ثم ذكرت السورة جانبا من قصص مدين وعاد وثمود وقارون وفرعون وهامان، وكيف أهلكهم الله جميعا بأصناف من العذاب نتيجة لكفرهم واستهزائهم وكبرهم، إلى أن يأتي الحديث عن الولاء والعنكبوت ووهن بيته، وهو حال هؤلاء جميعا، فلم تغن عنهم قوتهم شيئا، فمثلهم كمثل بيت العنكبوت وهنا وضعفا.

بعدها يأتي الحديث عن الوحي وتلاوته وإقام الصلاة وتحمل مسؤولية الدعوة، وذكر الله أهل الكتاب على وجه التحديد إشارة إلى أن معظم تشتت ولاء المسلمين هو مع أهل الكتاب (كما بينت سورة المائدة ذلك صراحة، وكما جاءت سورة باسم (الروم) بعدها مباشرة)، ويجيء هذا الحشد من الآيات عن القرآن وضرورة التزام أحكامه. ثم تتحدث الآيات عن آثار قدرة الله ونعمه علينا، وهي إشارة لما ينبغي أن ينصرف الولاء له، وتذكر

طرفا من أحوال الآخرة، وختمت بحديثه سبحانه عن الذين جاهدوا فيه: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) [العنكبوت: 69].

4. سورة الروم: جاء ذكر لفظ الروم في آية واحدة، وقصتهم في هذه الآيات الثلاث، ولكن السورة في ثناياها تتحدث عن مجموعة من الحقائق التي ينبغي الانتباه إليها والحذر منها.

جاءت السورة بعد العنكبوت، وقلنا إن موضوعها الرئيس هو في شأن الولاء، وصحيح إن المؤمنين سيفرحون لغلبة الروم لعدوهم، كونهم في الأصل موحدين، ولكن السورة تفتح آفاقا ينبغي الانتباه عليها، فليس عبثا ذكر الروم وتسمية السورة باسمهم.

بعد الحديث عن قصة الروم يأتي التأكيد على سنة نصر المؤمنين، ولن يخلف الله وعده، ولكن الناس يجهلون سننه، ولعل السير في الأرض يعلمنا كيف زالت أمم وظهرت أخرى، وحديث عن الآخرة التي هي دار القرار.

ثم تذكر الآيات مجموعة من نعم الله وآياته، تدل على عظم شأنه وقدرته وحكمته، والحث على الاستقامة، ونهي عن الشرك وسببه الفرقة والتحزب، حين يختل ميزان الحق في العقول والقلوب، ويفقد الإنسان توازنه.

ويأتي بعد ذلك حديث عن الرزق وضمانته، وحث على الإنفاق، ونهي عن الربا، وحديث عن ظهور الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، وتوجيه للناس لاتباع الدين القيم. وحديث عن الرياح في أكثر من آية، وما تسوقه بأمر الله من رحمات الله بعد اليأس.

لن يُسمع الرسول ﷺ الموتى ولا الصم، وما هو بهاد العمي عن ضلالتهم، بل يسمعه الذين آمنوا وأسلموا.

ثم تتحدث الآيات عن حالات الإنسان من ضعف وقوة وضعف وشيبة، وعن الساعة والمصير، وتختم بالدعوة إلى الصبر، وأنْ لا يستخفنا الذين لا يوقنون، فشأن المسلم الثبات والثقة المطلقة بالله تعالى.

نلحظ من السورة بعد ذكر الروم التي هي بعد العنكبوت ببعض اللفتات المحذرة من الاتباع لهم، فالأمر بالاستقامة، والنهي عن الشرك الذي وقع فيه النصارى على وجه التحديد، والفرقة والتحزب، وهذا ديدن أهل الكتاب في تفريق المسلمين، فهذه كلها أمور ينبغي الحذر منها في جانب الاعتقاد والأمة الواحدة.

وفي شأن العلاقات فليس عبثا ذكر التفاعل الإيجابي بين أفراد المجتمع، وعلامته التكافل المالي، والنهي عن الربا، والاستقامة التي هي عكس الفساد وظهوره، وكأنها إشارة إلى ما يريده هؤلاء منا، حيث الوقوع في أوحال الفساد بأنواعه.

ولا بد من إدراك سنن الله في مداولة الأيام، ولعل حالات الضعف والقوة كما هي في الإنسان فإنها في الأمم، ولكن النصر في النهاية لهذه الأمة، والأمر يحتاج صبرا وعملا وأملا.

ثالثا: الآيات المتحدثة عن فضل القرآن والربط العجيب بينها وبين موضوع السورة وعنوانها:

وهذا أمر عجيب حقا حين ندقق فيه، ولنأخذ عليه بعض الأمثلة:

قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ – صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) [الشورى: 52– 53]، في سورة اسمها: الشورى، وكأن موضوع القرآن بهداياته وروحه ونوره هو أهم المرجعيات في تأهيل أهل الشورى، أو أن أهل القرآن هم أهل الحكمة والعلم الذين يرجع إليهم في الشورى، والله أعلم.

قوله تعالى: (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ – وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) [الزخرف: 43– 44]، وهي من اسمها متحدثة عن الزخرف،

وجاء موضع كلمة (الزخرف) في ذكره سبحانه لبعض مظاهر الحياة وترفها، والسورة ذكرت ما به ينشغل الناس عن الله تعالى ومنهجه، فهي تشكل بيانا واضحا لما ينخدع الناس به من زخرف الحياة الدنيا، وفي الوقت نفسه تبين ما به نتجاوز هذا الخداع ونحصن به أنفسنا. ومن هنا فقد ابتدأت السورة بالحديث عن الكتاب والرسالة وجديتها، والإقرار بالخالق سبحانه، وبعض ما أنعم به علينا، فهو الحقيق بالعبادة، ولكن بعض الناس جعلوا له من عباده جزءا، وتحدثت عن فرية اتخاذ الله سبحانه البنات، وهي مناسبة للحديث عن الوأد، ونشأة الإناث في الحلية، وكيف افتروا أن الملائكة إناث، والعناد الذي عليه هؤلاء المشركون، خاصة فئة المترفين.

وتحدثت باختصار عن إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وعن الجزاء الأخروي، فبينت السورة معالم دفع هذا الزخرف، حيث: معرفة الله وعبادته وحده، وأن مظاهر الدنيا لا تدعونا إلى الانغماس فيها، بل استغلالها في طاعة الله، ولعل الاستمساك بالقرآن وأنه شرف حقيقي للمؤمن بما فيه من هدايات ومبشرات هو عامل رئيس في ذلك، إضافة إلى معرفة حقيقة الدنيا والآخرة، وأننا ميتون في هذه الدار باقون في الدار الآخرة، والعاقل من يعمل لدار البقاء، ولا يخدعنه زخرف هذه الحياة الدنيا.

قوله تعالى: (إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) [الإسراء: 9]، وسميت كذلك (بني إسرائيل)، وهي أكثر سورة تحدثت عن القرآن، وهي من اسمها متعلقة بالإسراء، حيث الرحلة العجيبة التي نقلته من ضيق الأرض إلى خارج الجزيرة ابتداء، ثم العروج به إلى حيث سدرة المنتهى، وكأن القرآن هو وسيلة لتحليق روح المسلم في ملكوت الله تعالى.

حتى اسم السورة الثاني (بني إسرائيل)، حيث إفسادهم في الأرض مرتين وعلوهم علوا كبيرا، فكأن السورة تقول إن الذي ينهي إفسادي بني إسرائيل هم أهل القرآن، فجاءت الآية مباشرة بعد الحديث عن الإفسادين.

قوله تعالى: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) ، تكررت في [سورة القمر، الآيات: 17/ 22/ 32/ 40/ 51]، والسورة ابتدأت بالحديث عن اقتراب الساعة وواحدة من علاماتها حيث انشقاق القمر، أو ما يكون من أهوال يوم القيامة منها انشقاق القمر، والأقوام رغم وضوح الآيات إلا أنهم معرضون متّبعون لأهوائهم، ويقولون عن الآيات بأنها سحر مستمر، وتحدثت عن حال الأنبياء مع أقوامهم، وما أنذروهم به، فجاءت هذه الآية متحدثة عن تيسير القرآن للذكر، فأين المتذكرون المتعظون؟ ولعل في اسم القمر علاقة بين نوره وهذا الكتاب الذي هو نور، والله أعلم.

قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ – لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) [فصلت: 41– 42]، وابتداء السورة: (حم – تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ – كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [فصلت: 1– 3]، وفي موضوع آخر بعد آية المدح تلك: (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ – 41:44) [فصلت: 44]، والحديث عموما في السورة عن هذا الكتاب والتحدي به، ولغو المشركين حوله، فناسب أن يوصف بالعزة، وأنه لا يأتيه الباطل أبدا، وفي هذا عزة للمؤمن، وثبات على الحق أبدا، إن كان مع القرآن.

رابعا: أهمية السياق في الترجيح:

وهذا أمر مهم بينه العلماء، وهناك دراسات كاملة بشأنه، ولكنني هنا في عجالة أمر على بعض النماذج مما اختلف العلماء فيه، ولو دققنا في السياق لانتهى الإشكال، أو لكان الرأي الأسلم، والله أعلم، وهنا أذكر بعض الأمثلة، منها:

مسألة النسخ في قوله تعالى: (أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ

وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة: 184]، وأختصر الحديث على المسألة هنا، فقد قال قوم بالنسخ، بأن المسلم كان مخيرا بين الصيام والفدية، فنسخ ذلك بقوله تعالى: "فمن شهد منكم الشهر فليصمه"، وبقي في حق العاجز والمريض الذي لا يرجى برؤه، أما المريض والمسافر فله أن يفطر ويقضي، وقال قوم بعدم النسخ، ولكن الآية تتحدث عن العاجز عن الصوم فله أن يفطر وعليه الفدية، واستدلوا بقراءة (يطوّقونه)، وهي ليست متواترة، وهناك حديثان عند البخاري، أحدهما مع الرأي الأول، والثاني مع الثاني، وهي اجتهادات للصحابة، والأصح (والله أعلم) أنه لا نسخ في الآية، وهي مختصة بأهل الأعذار من العاجزين عن الصيام، فلهم أن يفطروا مع دفع الفدية، طعام مسكين عن كل يوم، ومن تطوع بأكثر من ذلك فهو خير له.

والذي يؤيد هذا ليس الرواية عند البخاري فقط[31]، بل السياق، فلما بدأ سبحانه الآية بالحديث عن المريض والمسافر فلهما أن يفطرا ويقضيا، عُلم أن السياق يتحدث عن أهل الأعذار، فجاء ذكر الذين يطيقونه مندرجا مع هذه الحالات، فهو أحد الأعذار، لا أنه مخير بين الصيام والإفطار مع الفدية، والمعنى هنا مفهوم سواء قدّرنا محذوفا لتكون الجملة (لا يطيقونه) أم لم نقدر، فقد فهم أن المقصود الذين لا يستطيعون الصوم، لكبر سنهم أو لمرض لا يرجى برؤه، والله أعلم.

مسالة الاختلاف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هل هو فرض عين أم فرض كفاية، فالقائلون بأنه فرض عين نظروا في كلمة (منكم) في قوله تعالى: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [آل عمران: 104] هي من البيانية، بمعنى: لتكن منكم يا أمة محمد أمة تدعو إلى الخير..، أما أهل الرأي

31 حديث رقم: 4235.

الثاني فقالوا هي تبعيضية، وبالتالي فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، واستدلوا بأنْ ليس كل الناس علماء أو دعاة[32].

والحقيقة التي بينها السياق أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين قدر استطاعة الإنسان، فكثيرة هي الأمور التي لا يتطلب النصح بها علما ودراية، كالأمور المعلومة من الدين بالضرورة ومكارم الأخلاق، فالشعور بالمسؤولية عند المسلم أمر مهم، وأزعم أن الأمة ما ضاعت قيمتها وضلت بوصلتها إلا حين تهربنا من مسؤولياتنا وانكفأنا على أنفسنا، فصحيح أنه لا يجوز للعامي أن يتحدث فيما لا يعلم، وتتعاظم المسؤولية بقدر علم الإنسان ومكانته، ولكنه غير معذور في النصح العام فيما يعلم.

أما ما يدل على ذلك من السياق، فالآية قبلها تتحدث عن: "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا.."، وبعدها نهي عن التفرق والاختلاف: "ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات، وأولئك لهم عذاب عظيم"، من هنا نفهم أن المخاطب بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل من خوطب بالاعتصام بحبل الله.

ومن جهة أخرى، فالسياق أيضا بعد ذلك جاء بقوله تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) [آل عمران: 110]، فالمخاطب هو الأمة كلها، ومرة أخرى، كل بحسب قدرته وعلمه. فيكون المعنى: كونوا أمة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، كما أقول لطلبة شعبة ما حاثا لهم على الجد والاجتهاد مثلا: لتكن منكم شعبة متميزة،، وهكذا.

خامسا: لطائف خفية من النص

32 انظر على سبيل المثال: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، الرازي، محمد بن عمر، (دار إحياء التراث العربي، ط/ 3، بيروت)، 8/ 166-167.

وأمثلة هذا كثيرة جدا، منها:

في قول النملة لقومها: (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ – 27:19) [النمل: 19]، فما الذي جعله يبتسم؟ هل مجرد أن سمعها تتحدث؟ أم من ظاهر القول الذي هو تحذير لقومها، مما يظهر المسؤولية والقيادة المحنكة والحرص على الرعية؟ أم من أدبها الجم حيث التمست العذر لسليمان (وهم لا يشعرون)؟ كل ذلك وارد لطيف، نأخذ منه الدروس والعبر الكثيرة.

في قول يعقوب عليه السلام لأبنائه: (قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ) [يوسف: 13]، يؤخذ منها الاحتياط في الكلام وأنْ لا يعطي أحدنا لغيره العذر في اقتراف ذنبه، أو يساعدهم في مخططاتهم من غير قصد.[33]

ونأخذ من قصة يوسف عليه السلام عبرا كثيرة، منها على سبيل المثال استغلال الظرف المناسب للدعوة، كما في حواره مع السجينين في السجن، وما وفقه الله إليه من عدم إجابة رسول الملك في المرة الأولى، إذ لو فعل لكانت النتيجة أن يخرج من السجن وكفى، ربما يكافأ مكافأة على تعبيره الرؤيا فقط، ولكنه حين أظهر عزة نفسه، وأراد بيان الحقيقة المرة التي لأجلها سُجِن، حينها ظهرت الحقيقة وارتفع في عين الملك، فأظهر له أنه صاحب مكانة عنده، وهنا درس آخر كيف استغل يوسف عليه السلام الفرصة السانحة ليعرض على الملك توليته له خزائن الأرض، فلو تأخر ولو قليلا فربما كان هناك رأي آخر، وهكذا.

سادسا: النظر في سياق كلمات محددة لها مفاهيمها

33 يقول أبو حيان: "وَكَانَ يَعْقُوبُ بِقَوْلِهِ: وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ لَقَّنَهُمْ مَا يَقُولُونَ مِنَ الْعُذْرِ إذا جاؤوا وَلَيْسَ مَعَهُمْ يُوسُفُ، فَلُقِّنُوا ذَلِكَ وَجَعَلُوهُ عُدَّةً لِلْجَوَابِ"، تفسير البحر المحيط، 6/ 246.

وهذا كثير جدا أيضا، وأعني بها أن هناك بعض الكلمات ذات المدلول المتفق غالبا، ومنها على سبيل المثال:

كلمة (الظلم)، حيث تفيد وضع الشيء في غير مكانه، ويوصف بها الكفر والشرك والنفاق غالبا، ففي صريح القرآن: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [البقرة: 254]، وجاءت كثيرا في سياق الحديث عن الولاء، حين يضعه بعض الناس لغير الله، كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [المائدة: 51]، وقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [التوبة: 23].

المهين: جاءت في القرآن غالبا وصفا لعذاب المتكبرين، والجزاء من جنس العمل، ومن هنا فقد اطرد ذكر هذه الكلمة مع المتكبرين، سواء بالتصريح أم بما يفهم بطريقة غير مباشرة.

الفسق: يغلب في سياق المنافقين، وهي بنص القرآن: (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [التوبة: 67].

الفقه: جاءت في القرآن عشرين مرة، ربما نصفها في حق المنافقين.

سابعا: تناسب الآي والسور

وهذا علم قائم بذاته، فيه لطائف عجيبة تطرق إليها العلماء، بل من المفسرين من وضع كتابه بناء على هذا الأمر، كما فعل البقاعي في تفسيره: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، وكما فعل الرازي وأبو حيان والآلوسي وغيرهم.

ولكن هناك أمور لم يتطرق إليها حتى هؤلاء، حيث النظر لا في مجرد أول تلك بآخر ما قبلها، أو آخر هذه بأول ما بعدها، بل ربط ذلك بالموضوع إذ لا بد من تأثير في مجمل معاني السورة، وأضرب على هذا بعض الأمثلة:

علاقة سورة الحشر بما قبلها وهي المجادلة، حيث آخر آية عن الولاء: (لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [المجادلة: 22]، وما بعدها حيث الممتحنة، وأولها أيضا عن الولاء: "يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق.."، حتى إن آخرها أيضا عن الولاء: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ) [الممتحنة: 13]، فلا بد من علاقة ذلك بموضوع سورة الحشر، حيث يهود بني النضير وحصارهم، وما قاله المنافقون تجاههم، فالسورة تحكي الحشر وضرورة أن يكون الولاء الخالص لله ورسوله والمؤمنين، وفي ذلك ذم واضح للمنافقين في اتخاذهم اليهود أولياء، ونهي أكيد للمؤمنين أن يسلكوا مسلكهم.

علاقة سورة النجم بما قبلها حيث سورة الطور، ولن أقف عند مجرد أن آخر آية فيها هي: "ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم"، لتأتي أول كلمة في النجم: "والنجم إذا هوى"، بل أريد التركيز أكثر على الموضوع، ففي الطور بعد مقدمتها المتحدثة عن حقيقة الآخرة القادمة، وما أقسم به سبحانه عليه أن ذلك واقع لا محالة، تحدثت الآيات عن المكذبين: "فويل يومئذ للمكذبين"، ومصيرهم، وما كانوا يكذبون به، وتستمر الآيات إلى أن يتحدث السياق عما اتهمت به قريش نبينا محمدا ﷺ من الكهانة والجنون والشعر، وأنه تقوّل القرآن، وهكذا إلى أن أوصاه ربه أن يصبر ويسبح بحمد ربه: "فسبح بحمد ربك حين تقوم. ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم"، هنا ناسب أن تفتتح سورة النجم بالقسم بالنجم على: "ما ضل صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى..."، ثم تستمر السورة في تعزيز موقفه

ﷺ ، ومكانته عند ربه، والنعي على المشركين بما يفعلونه من شرك، وما يتهمون به المؤمنين، وتأكيد حقيقة الآخرة القادمة، إلى أن يصل إلى خاتمتها حيث إنذار الكافرين: (أَزِفَتِ الْآزِفَةُ – لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ – أَفَمِنْ هُذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ – وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ – وَأَنتُمْ سَامِدُونَ – فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا) [النجم: 57– 62].

وبعد ذلك تأتي سورة القمر، لتتحدث مباشرة عن اقتراب الساعة وانشقاق القمر، وما يتفوّه به المكذبون للرسول ﷺ وللآخرة، بل كثر في السورة وصف التكذيب لأنبياء الأقوام السابقين، فجاءت سورة النجم بين سورتين فيهما إنكار وتشكيك وتكذيب لمحمد ﷺ في شأن النبوة والآخرة، وليس هو أول واحد يتعرض لهذه التهمة، وفي النجم قسم من الله بأنه ما ضل وما غوى، وهكذا.

5. الخاتمة

يمكنني القول بعد هذا التجوال في علاقة التفسير بالرأي بالهدايات إن العلاقة جد قوية متلازمة، وهي تفتح آفاقا بعيدة لا يمكن وضع حد لها، ما دامت منسجمة مع أصول التفسير وقواعده.

لم ينزل هذا القرآن ليجمد عطاؤه ويساء فهمه في أن نقتصر على ما ورد في كتب التفسير السالفة، فما ورد عن رسولنا ﷺ وسلفنا الصالح إنما هو نقطة الانطلاق، لأن في لب الرسالة ديمومتها وبالتالي دوام إعجاز كتابها الذي اختص الله به محمدا دون غيره من الرسل عليهم جميعا الصلاة والسلام، وذلك لحكمة رئيسة هي دوام هذه المعجزة، فمعجزة كل نبي كانت حسية آنية، بينما معجزة محمد ﷺ وحي باق محفوظ، من مزاياه أنه لا تفنى عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا ينضب معينه، ولا يشبع منه العلماء.

ولا يمكن لهذه الصفات أن تكون إن جمدنا عند معاني محددة، فالنص نفسه غزير المعاني عجيب النظم، وأقول إن إعجازه شامل لمسائل كثيرة يصعب تحديدها، بيانا وعلما

وتشريعا وإخبارا عن غيب وتأثيرا وغير ذلك، ومن هنا لا بد من إطلاق الفكر ليبحث والعقل ليستنبط، فهي لآلئ لا بد من كشفها والإفادة منها.

ومن خلال البحث تبين اهتمام الإسلام بالفكر والتدبر والتذكر، كما تبينت نقاط الانطلاق للتفسير بالرأي، فبعضها زمن النبي ﷺ، وبعضها زمن الصحابة، وهذا دليل على المشروعية.

ومن خلاله تبينت الميادين الكثيرة التي أثر فيها التفسير بالرأي على موضوع الهدايات، وهي أيضا أمور قد لا أجد لها حدا، ولكنها نماذج وأمثلة لتقرب الصورة، وتقنع العقل، وتسهم في إقامة الحجة على من لا يزال ينكر أو يتشكك في هذه العلاقة بين التفسير بالرأي والهدايات.

المراجع والمصادر:

REFERENCES:

ʻAbduh, Muḥammad, wa Muḥammad Rashīd Riḍā. Tafsīr al-Qur'ān al-ḥakīm, al-Mashhūr bi Tafsīr al-Manār. Dār al-Maʻrifah, Beīrūt, Ed. 2.

ʻĀbidīn, Muḥammad 'Abū al-Yasar. (1994). al-'Ījāz fī āyāt al-'Iʻjāz, Taḥqīq : Muḥamad Karīm Rājiḥ. Dār al-Bashā'ir, Damshiq, Ed. 1.

ʻAssāf, 'Aḥmad Muḥammad. (1983). Buqyah al-ṭālibīn min 'Iḥyā' 'Ulūm al-Dīn. Dār 'Iḥyā' al-ʻUlūm, Beīrūt, Ed. 3.

ʻUwaiḍah, Muḥammad Naṣr al-Dīn. Faṣl al-Khitāb fī al-Zuhd wa al-Raqā'iq wa al-Ādāb.

'Abū al-Fidā', 'Ismāʻīl. Tafsīr al-Qur'ān al-ʻAẓīm, Ibn Kahhīr. Dār al-Fikr, Beīrūt.

'Abū al-Saʻūd, Muḥammad bin Muḥammad al-ʻAmādī. 'Irshād al-ʻAql al-Salīm 'ilā Mazāyā al-Qur'ān al-Karīm. Dār 'Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī, Beīrūt.

'Abū Dāwud al-Sijistānī. al-Sunan, Taḥqīq : Shaʻīb al-'Arna'ūṭ.

'Abū Ḥayān, Muḥammad bin Yūsuf. (1990). al-Baḥr al-Maḥīṭ. Dār 'Iḥyā al-Turāth al-ʻArabī, Beīrūt, Ed. 2.

al-ʻAsqalānī, 'Aḥmad bin ʻAlī bin Ḥajar. (2000). Fahḥ al-Bārī bi Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, Taḥqīq : ʻAbd al-Azīz bin Bāz. Dār al-Fikr, Beīrūt, Ed. 1.

al-'Albānī. al-Silsilah al-ṣaḥiḥah. Maktabah al-Maʻārif, al-Riyādh.

al-'Aṣfahānī, 'Abū al-Shīkh. (1988).Kitāb al-'Uẓmah, Taḥqīq : Riḍā' Allah Muḥammad 'Idrīs al-Mubārakfūrī. Dār al-'Āṣimah, al-Riyādh, Ed. 1.

al-Ālūsī, Maḥmūd. Rūḥ al-Ma'ānī fī Tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm wa al-Sab' al-Mahhānī. Dār 'Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, Beīrūt, Ed. 4.

al-Baqā'ī, Burhānuddīn 'Abū al-Ḥasan 'Ibrāhīm bin 'Umar. (1992). Niẓam al-Durar fī Tanāsub al-āy wa al-Suwar. Dār al-Kitāb al='Islāmī, al-Qāhirah, Ed. 2.

al-Bukhārī, Muḥammad bin 'Ismā'īl. (2000). al-Jāmi' al-Ṣaḥīḥ, , al-Maṭbū' ma' Fahh al-Bārī. Dār al-Fikr, Beīrūt, Ed. 1.

al-Ghazālī, Muḥammad. (1999). Ḥuqūq al-'Insān bain Ta'ālīm al-'Islām wa 'I'lān al-'Umam al-Muttahidah. Dār al-Da'wah, al-'Iskandariyah, Ed. 4.

al-Lālikā'ī,'Abū al-Qāsim. 'Uṣūl I'tiqād 'Ahl al-Sunnah wa al-Jamā'ah, Taḥqīq : 'Ahmad Sa'ad Ḥamdān. Dār Ṭoyyibah, al-Riyādh.

al-Nafasī, 'Abū al-Barakāt 'Abdullh bin 'Aḥmad. Madārik al-Tanzīl wa ḥaqā'iq al-Ta'wīl. Dār al-Fikr, Beīrūt.

al-Nawawī, Yaḥyā bin Sharaf. (1966). Sharḥ al-Nawawī 'alā Muslim , Taḥqīq : 'Iṣām al-Ṣabābiṭī wa Ḥāzim Muḥammad wa 'Imād 'Āmir. Dār 'Abī Ḥayyān, Ed. 1.

al-Nīsābūrī, Muslim bin al-Ḥajjāj. (1995). al-Jāmi' al-Ṣaḥīḥ, , al-Maṭbū' ma' Sharḥ al-Nawawī. Dār 'Abī Ḥayyān, Ed. 1.

al-Qurtubī, 'Abū 'Abdillah, Muḥammad bin 'Aḥmad. (1997). al-Jāmi' li 'Ahkām al-Qur'ān, Taḥqīq : 'Abd al-Razzāq al-Maharī. Dār al-Kitāb al='Arabī, Beīrūt, Ed. 1.

al-Rāghib al-'Aṣfahānī, al-Ḥusīn bin Muḥammad. al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur'ān, Taḥqīq : Muḥammad Sayyid Kailānī. Dār al-Ma'rifah, Beīrūt.

al-Rāzī, al-Fakhr, Muḥammad bin 'Umar. (1980). al-Tafsīr al-Kabīr 'au Mafātīḥ al-Ghaib. Dār 'Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, Beīrūt, Ed. 3, wa Maktabah al-'Īmān, al-Manṣūrah, Ed. 1.

al-Sakhāwī. al-Maqāṣid al-ḥasanah. Dār al-Kitāb al-'Arabī, Ed. 1.

al-Sayūṭī, Jalāluddīn. (1974). al-'Itqān fī 'Ulūm al-Qur'ān Taḥqīq : Muḥammad 'Abū al-Faḍl 'Ibrāhīm. al-Hai'ah al-Miṣriyyah al-'Āmmah li al-Kitāb, al-Qāhirah.

al-Sayūṭī, Jalāluddīn. al-Jāmi' al-Ṣaghīr. Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beīrūt.

al-Shaukānī, Muḥammad 'Alī. (1994). Fahḥ al-Qadīr al-Jāmi' bain Fannai al-Riwāyah wa al-Dirāyah min 'Ilm al-Tafsīr, Taḥqīq : 'Abd al-Raḥman 'Umairah. Dār al-wafā', al-Manṣūrah, Miṣr, Ed. 1.

al-Ṭabarī. (1960). Jāmi' al-Bayān 'an Ta'wīl āy al-Qur'ān, , Taḥqīq : Maḥmūd wa 'Aḥmad Muḥammad Shākir. Dār al-Ma'ārif, al-Qāhirah.

al-Zarkashī, Burhānuddīn. al-Burhān fī 'Ulūm al-Qur'ān , Taḥqīq : Muḥammad 'Abū al-Faḍl 'Ibrāhīm. Maktabah Dār al-Turāth. Ed. 1.

Ibn 'Āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir. (1984). al-Taḥrīr wa al-Tanwīr. al-Dār al-Tūnisiyah li al-Nashr, Tūnis.

Ibn ʿAṭiyyah al-ʾAndalusī, ʾAbū Muḥammad ʿAbd al-Haq. al-Muharrar al-Wajīz fī Tafsīr al-Kitāb al-ʿAzīz, Taḥqīq : ʿAbdullah bin ʾIbrāhīm al-ʾAnṣārī wa al-Sayyid ʿAbd al-ʿĀl al-Sayyid ʾIbrāhīm, Qaṭar,

Ibn ʾAbī Shaibah. al-Muṣnaf, Ed. 1.

Ibn al-Jauzī, ʾAbū al-Faraj ʿAbd al-Raḥman bin ʿAlī. (1968). Zād al-Masīr fī ʿIlm al-Tafsīr. al-Maktab al-ʾIslāmī, Damshiq.

Ibn al-Jauzī, ʾAbū al-Faraj ʿAbd al-Raḥman bin ʿAli. (2002). Ṣaid al-Khāṭir, Taḥqīq: Muḥammad ʿAbd al-Raḥman ʿAūḍ. Dār al-Kitāb al-ʿArabī, Beīrūt, Ed. 4.

Ibn Fāris, ʾAḥmad al-Qazwīnī. (1981). Muʿjam Maqāyīs al-Lughah. Maktabah al-Khānijī, al-Qāhirah.

Ibn Ḥanbal, ʾAhmad. (1981).Kitāb al-zuhd, Taḥqīq : Dr. Muḥammad Jalāl Sharf. Dār al-Nahḍah al-ʿArabiyyah.

Ibn Ḥanbal, al-ʾImām ʾAḥmad. al-musnad. al-Maktab al-ʾIslāmī, Beīrūt.

Ibn Qaim al-Jauziyah. (2001). al-Fawāʾid, Taḥqīq : Muḥammad ʿAbd al-Qādir al-Fāḍilī. al-Maktabah al-ʿAṣriyyah, Beīrūt.

Ibn Qaim al-Jauziyah. (2003). Madārij al-Salikīn bain Manāzil ʾIyyāka Naʿbudu wa ʾIyyāka Nastaʿīn , Taḥqīq : ʿAbd al-ʿAzīz bin Nāṣir al-Jalīl. Dār Ṭoyyibah, al-Riyādh, Ed.1.

Ibn Qaim al-Jauziyah. al-Tafsīr al-Qaim, Taḥqīq : Muḥammad Ḥāmid al-Faqī. Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, Beīrūt.

Ibn Qayyim al-Jauziyah. (1981). al-ʾAmthāl fī al-Qurʾān al-Karīm. Taḥqīq : Saʿīd Muḥammad Namr al-Khaṭīb. Dār al-Maʿrifah, Beīrūt.

Ibn Rashd, Muḥammad bin ʾAhmad. Bidāyah al-Mujtahid wa Nihāyah al-Muqtaṣid. Maktabah Ibn Taimiyah, al-Qāhirah.

Ibn Saʿad. al-Ṭabaqāt al-Kubrā, Taḥqīq : ʿAlī Muḥammad ʿUmar. Maktabah al-Khānijī, al-Qāhirah.

Khalīl, ʿImaduddīn. (1985). Madkhal ʾilā Mawqif al-Qurʾān al-Karīm min al-ʿIlm. Muʾassasah al-risalah, Beīrūt, Ed. 2.

khallāf, ʿAbd al-Wahhāb. (1988). al-Siyāsah al-Sharʿiyyah fī al-Shuʾūn al-Dusturiyyah wa al-Kharijiyyah wa al-Maliyah. Dār al-Qalam.

Muḥammad bin ʾAbī Bakr. (1978). Mukhtār al-ṣaḥḥāḥ, al-Rāzī. Muassasah ʿUlūm al-qurʾān, Beīrūt,

Muḥammad Karīm Rājiḥ. (1994). al-Qirāʾāt al-ʿAshr al-Mutawahirah, al-Maṭbūʿ Bahāmish al-Qurʾān al-karīm. Dār al-Mahājir, al-Madīnah al-Munawwarah, Ed.3.

Muslim, Muṣṭafā. (2009). Mabāhith fī al-Tafsīr al-Mauḍūʿī, Ed. 1.

Shaḥātah, ʿAbdullah. (1980).Tafsīr al-āyāt al-kauniyah. Dār al-Iʿtiṣām, al-Qāhirah, Ed. 1.